اصلاح ومداراة المال الصامت وأثره في احوال الناس حتى منتصف القرن الثالث الهجري

أ.م.د .محمود يونس حمادة
جامعة تكريت / قسم الفقه واصوله / كلية العلوم الاسلامية
ا.م. عادل عباس جسام
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

المقدمة

تتأتى أهمية المال في حياة كل المجتمعات والأمم المتحضرة من أنه الوسيلة الرئيسة والمعيار الحقيقي للقيم والمقياس الفعلي لها حتى تجرى المبادلات والنشاطات المالية والنقدية، كما وأن وفرته دليل على قوة تلك الأمم في إدارة شؤونها على أحسن وجه ومجاراة الأمم الأخرى مثلما ان قلته تدق ناقوس الخطر وتقوم بأسباب ضياع الملك. اعتمدت الدولة العربية الاسلامية منذ البداية على النقد المتداول وما يرد اليها في حينه من الدينار الرومي والدرهم الساساني، وظل الامر على هذا الحال حتى شرع الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان باعتماد نقد مستقل وبسكة عربية إسلامية خالصة فزادت عمليات المبادلة والتداول بزيادة المعروض من الذهب والفضة جراء عمليات الفتوح ووضع اليد على مناجم الذهب والفضة في البلاد المفتوحة. استطاعت الدولة العربية الإسلامية في عصورها الأولى ان تتوفر على قدر كبير من عوامل النهوض والثبات الذي افضى الى مقدرة عالية في إدارة الأموال التي ترد اليها من جراء الفتوح وما يترتب عليها من فرض الضرائب والتي راعت بموجبها أحوال الناس ومعيشتهم وفقا للشرع الإسلامي دون الحاق الضرر بهم، الا ان ذلك لم يكن ليستمر الى الابد لظهور عوامل الانحراف عن المنهج العام وظهور حالات من السرف والتبذير والبذخ والاستخدام السيء للأموال نتج عنها تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والأجتماعية في العصور اللاحقة على الأقل. آثرنا في بحثنا هذا ان تناول نوعا واحدا من تلك الأموال والمصنفة في ثنايا البحث وهو المال الصامت (النقد) وهو الأكثر شيوعا واستعمالاً

واستعرضنا اثره في أحوال العامة والخاصة وكيفية تداوله وأثره في أسباب قيام الدولة وعوامل ضعفها ضمن السياق التأريخي للأحداث وحتى منتصف القرن الثالث الهجري، فضلاً عن مدلولاته من ضمن الموروث واثره وتأثيره في الطبيعة الإنسانية وأثره الاجتماعي والاقتصادي لتلك الامة.

احتوى المبحث الأول مطلبين عرضنا في:

أولهما : ماهية ومفهوم وأنواع الأموال في النظم الإسلامية والتي هي الصامت والعروض والعقار والحيوان وتناولنا في المطلب الثاني اصلاح ومداراة المال الصامت(النقد) في الأرث الإسلامي وكيفية تداوله وحفظه وصونه.

واختص **المبحث الثاني** في استخدام وتوظيف المال الصامت (النقد) عند العامة وقد اخترنا مفصلاً واحدا في هذا الإطار وهو الجود والكرم بالمال والذي اشتهر به العرب دون الأمم الأخرى لانهم يعدونهم مفخرةً ومروؤة.

وعنى **المبحث الثالث** في استخدام وتوظيف المال الصامت في مؤسسات الدولة الرسمية، وكيفية توزيعه بشكل عادل على المسلمين وفق قواعد ثابتة للعطاء، مع حرص الخلفاء على مراقبة أداء العمال والحيلولة دون الاستهتار بالاموال وظهور حالات الفساد واستخدام أساليب الردع من خلال مقاسمهم أموالهم عند انتهاء خدمتهم او إقالتهم وسحب اليد منهم.

اما **المبحث الرابع** فقد احتوى على مطلبين اختص :

أولهما : في التوظيف السلبي للمال مع عرض لبعض الشواهد التأريخية لذلك.

اما المطلب الثاني : فقد تناول التوظيف السياسي للمال واستخدامه كأداة في توطيد دعائم الحكم وكبح جماح الثورات والانفاق على الجيش، فضلاً عن ظهور ما سمي بالمصادرات في العصور العباسية، وكانت على نطاق واسع وطالت الوزراء والعمال وكبار رجال الدولة لحاجة الدولة للأموال.

والله ولي التوفيق

المبحث الأول

مفهوم المال واصلاحه في الإرث الإسلامي

المطلب الأول

ماهيـــة وأنـــواع الأمـــوال

المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة، ثم اطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان، واكثر ما يطلق المال عند العرب على الابل، لأنها كانت اكثر أموالهم، وفي اللغة هو الوفرُ، يقال: فلان ذو وفر اي ذو مال ويقسم المال الى اربعة وجوه:[١]

١. الصامت: وهو العين والوَرِق او النقد. (وهو محور بحثنا)

٢. العرض: وهو الامتعة والبضائع والجواهر والمعادن وسائر الأشياء المصنوعة منها.

٣. العقار: وهي صنفان:

أ ـ المسقف: وهو الدور والفنادق والحمامات والحوانيت والمعاصر والافران والمدابغ وغيرها.

ب ـ المزروع: ويشمل البساتين والكروم والمراعي والغياض والآجام.

٤. الحيوان: والعرب تسمّيه المال الناطق وهو ثلاث أصناف:

أ ـ العبيد والإماء.

ب ـ الكراع: الخيل والحمير والأبل المستعملة.

ج ـ الماشية: الغنم والبقر والمعز والجواميس والأبل السائمة والمهملة.

وهي جميعها نافعة لأهلها إذا دبرت كما يجب وبعضها افضل من بعض، وتختلف باختلاف احوال الزمان من صفاتها المكروهة او المحبوبة واحوالها المحمودة او المذمومة.[٢]

١- الدمشقي، ابي الفضل جعفر بن علي (ت ق ٦ للهجرة) الإشارة الى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تحقيق محمود الارناؤوط ، (بيروت، دار صادر، ٢٠٠٩)،ص١٤؛ وينظر : التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ)،البصائر والذخائر، (بيروت، دار صادر ، ١٩٩٨) ، ٦ ، ٢٤٨ ؛ ابن الاثير ، مجد الدين ابي السعادات الجزري(ت٦٠٦هـ)،النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناحي، طاهر الزاوي (القاهرة، دار احياء الكتب العلمية، ١٩٦٣م) ٤ ،٣٧٣

٢- الدمشقي المصدر السابق ، ص ١٥

اما المضار المتوجهة من المال فهي من جهة المتغلبين والسلاطين الجائرين والحسد والحساد.([1]) ومن كل ما تقدم فأننا آثرنا ان يكون تركيزنا على القسم الأول وهو المال الصامت، والذي تدور في فلكه كل أنواع الأموال وتصب فيه لأنه المعيار الحقيقي والمقياس الفعلي للقيم، وتقدر فيه قيم الأموال حتى تجري المبادلات، ويعد النقد همزة الوصل أو وسيط التبادل. ([2])

والعرب تطلق على المال الصامت العتيد بالنقود الحاضرة المهيأة([3])، وتقول العرب ان صامت المال هو الذهب والفضة وناطقه الأبل والغنم([4])، والتبر يقع على الذهب والفضة قبل ان يستعملا في عمل وربما النحاس ايضاً.([5]) ولم تعرف العرب صناعة العملة قبل الإسلام وكانوا يتبادلون العملة البيزنطية والفارسية وحتى اليمنية القديمة([6])، ولما قامت الدولة الإسلامية أقر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الدراهم والدنانير على ما كانت عليه([7]).

ولانشغال العرب المسلمون في أول امرهم بالدعوة الى الإسلام وتثبيت دعائمه وهي الغاية السامية والتي تعلو على كل ما هو مادي فأن رسول الله محمد(صلى الله عليه وسلم) سمّى الذهب

١- نفسه ، ١٥

٢- دنيا ، شوقي ، من اعلام الاقتصاد الإسلامي الامام ابو حامد الغزالي ، نشر في معهد البحوث والدراسات العربية (ندوة الاقتصاد الإسلامي في عمان ، بغداد ١٩٨٣)، ص٤٥٠

٣- التنوخي ، ابي علي المحسن بن علي(ت٣٨٤هـ) ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٥)، ٨ ، ٧٩

٤- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق. عبدالسلام محمد هارون، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٨)، ٤ ، ٨١

٥- البيروني ، ريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ) الجماهر في الجواهر، تحقيق يوسف الهادي، (طهران شركة انتشارات علمي ، ١٩٩٥م) ، ٣٨٣

٦- البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) ، فتوح البلدان ، (القاهرة ، مطبعة الموسوعات ١٩٩١)، ص ٦٥٢ ؛ ماجد ، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، (القاهرة ، مكتبة الانجلو، ١٩٧٣)،ص٤٢

٧- البلاذري، فتوح، ٦٥٤؛الكبيسي، حمدان، الاعظمي، عواد، دراسات في التاريخ الاقتصادي العربي الاسلامي، (بغداد ، مطبعة التعليم العالي،١٩٨٨) ، ص١٤٤

والفضـة بـالحجرين لـيحط مـن فتنـة النـاس بهمـا.([1]) وتعـد العـرب المـال مـالان: مـالٌ محمـود ومـال مذموم قال الشريف الرضي:

ما الفقرُ عارٌ وان كشفت عورتهُ وانما العار مالُ غير محمود ([2])

ويجدر القول ان احتراف العرب قبل وقرب الإسلام لم يكن في مجمله يعتمد على النقد والمال الصامت وانما كان على وجوه خمسة أولها الغارات على القبائل واخذ المرباع والفضول والنشيطة، ثم الوفادات على الملوك في فك الاسرى وحقن الدماء وحمل الدّيات وإصلاح ذات البين، ثم ترقيح (اصلاح)العيش من ظهور الابل وبطونها ونتاج الخيل ثم غراس النخل ، بمعنى آخر ان العرب جعلوا العيش في اطراف الأسنة (الغزو)([3])،ثم وجدت طبقة العسفاء والجّمالين وهي حرفة يرغب عنها كرام العرب وصرحائهم.([4])

اما في الإسلام فصارت أربعة أوجه: ([5])

١ـ مهاجرون يقيضون الدواوين ويحفظ بهم البيضة فيغزون الثغور ويقاتلون العدو.

٢ـ مقيمون يعتملون سوارح الأبل وروائحها ويتبعون المطر ويكرّون عواملهم الى الامصار والكور ويتواردون الأرياف وجوانبه الخضر.

٣ـ طبقة مقيمة في مياهها وحواضرها، راضية في العيش بما يحفظ عليهم التجمل وينفي عنهم التقشف والتبذل.

٤ـ العسفاء والاجراء.

ان المبررات التي ساقتنا الى التركيز في بحثنا هذا على المال الصامت (النقد) دون الأموال الأخرى لأنه وكما أسلفنا من قبل صار المعيار الفعلي والمقياس الحقيقي للقيمة التبادلية لكل السلع في الزمان والمكان نفسه، وأن القيمة هي تعرب عن شيء معين، وأخرى تدل على القدرة في شراء

١– إسماعيل ،د. محمود، قضايا في التاريخ الإسلامي (منهج التطبيق)، (بيروت، دار العودة ، د.ت) ، ١٨

٢– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥ هـ)،كتاب البخلاء،(بيروت دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٩م)، ١٧٥

٣– المرزوقي،احمد بن محمد الحسن(ت ٤٢١ هـ)،كتاب الأزمنة والامكنة،(بيروت،دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)،٥١٥

٤– نفسه ،٥١٩

٥– نفسه ٥١٦ـ٥١٧

السلع، تمكننا من حيازتهِ، فهي استعمالية وتبادلية على حد سواء. ([1]) والحق ان الإسلام دعا الى العمل وجني المال، لأن العبادة تقتضي تمكن الانسان مادياً وتلبية الرغبات الإنسانية وتأمين كفايتها مما تحتاج اليه، وفي تاريخنا من الشواهد مالا يتسع له المجال، فكان صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يجتهدون في تحصيل المال ووردت آيات كثيرة في المحكم تدعو الى العمل وأحاديث لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الصدد ومنها انه سُأل: أي الكسب اطيب؟ قال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور([2])،ولأن يأخذ احدكم حبله فيحتطب فيبيعها فيستغني بثمنها، اعطوه أو منعوه ([3])،وورد عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) انه قال:(حسب الرجل ماله وكرمه ودينه ومروؤته وحفه القراء بأن يلتمسوا الرزق ولا يكونوا عالة على الناس).([4]) ولما كان النقد هو المقياس الحقيقي للقيمة التبادلية في الزمان والمكان نفسه كما اسلفنا، فأن العمل هو المقياس الحقيقي والدقيق للقيمة التبادلية للسلع كلها وفي كل الأزمنة والأمكنة،([5]) وهنا تكمن قيمة العمل لأنه المصدر الفعلي للمال.

المطلب الثاني

اصلاح المال ومداراته في الإرث الاسلامي

أبان الله عن صلاح المعيشة بالقدرة على تثمير وادخار الأموال، وان سبيل الله في انتفاع الناس من الذهب والفضة بترددهما في ايدي الناس اثماناً لمصالحهم لا في سبيل الاكتناز فينقطع انتفاع

١- سميث، آدم، ثروة الأمم، ترجمة حسني زينة(بغداد ، مطبعة معهد الدراسات الاستراتيجية ، ١٩٨٥م) ،ص٤٣

٢- ابن ابي الدنيا ، أبو بكر(ت ٢٨١ هـ)، اصلاح المال ، تحقيق مصطفى مفلح القضاة ، (المنصورة ، دار الوفاء ، ١٩٩٠م) ، نص٣٠٧ ، ص٢٩٣

٣- نفسه ، نص ٣١٣ ، ص٢٩٣

٤- ابن عبد ربة ، أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ،تحقيق احمد الزين وإبراهيم الابياري (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٠م)، ٣ ، ٢٧-٢٨

٥- آدم سميث ، المرجع السابق ، ٤٥

الخلـق منهمـا ومخالفـة امـر الله ومشـيئته([١])، قـال تعـالى (والـذين يكنـزون.....) الـى اخـر الآية.([٢])

فهـذا المـال (الـذهب والفضـة) لـيس لهمـا بعـد اسـتنباطهما مـن الأرض غيـر (الطبـع عينـاً ووَرِقـاً) وترديده في الايدي على حسب تجارة او ايتاء صدقة ([٣])، وورد عن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) قوله ما دون٤٠٠٠درهم نفقة، وما فوقها كنز.([٤]) الاّ ان هذا لم يمنع الملوك والسوقة على حد سواء من جمع الأموال ودفنها في باطن الأرض، لأنها تؤدي ما تستودع ويضرب المثل (آمن من الأرض)([٥])، وهنـاك طـرق لـدفنها كمـا يفعـل الملـوك لكثـرة نـوائبهم، أذ يعـدّون الـذخائر للعدو، ويحصنون الأموال في القلاع والمعاقل، كما كان يفعل بجكم التركي مثلاً، وكانوا يعمدون الى استخدام الحيل في دفنها ولعل ما فعله الخليفة الراضي(٣٢٢-٣٢٩هـ) مع كنوز بجكم بعد ان قتله خير دليل أذ عمد الى حفر اساسات بيته واستخرج كميات هائلة من الذهب والفضة واواني الـذهب.([٦]) وحفـظ المـال وصـونه مـأمورٌ بـه، وأذِن الله فـي الانفـاق مـن الفضـول ولـم يـأذن بالأصول([٧])، وورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قوله:(خير الصدقة ما أبقت غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول)([٨])، وأذن الله في العفو ولم يأذن في الجهد، وقدم رسول الله(صلى الله عليه وسلم)جهد المقل على عفو المكثر([٩])،فمن حفظ ماله حفظ الاكرمين

١- البيروني ، المصدر السابق ، ٨٢

٢- سورة التوبة: آية ٣٤

٣- البيروني ، المصدر السابق ، ٨٢

٤- التوحيدي ، المصدر السابق ، ٥ ، ٢٠٦

٥- البيروني ، الجماهر ، ٩٨

٦- ابن الجوزي ، ابي الفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) ،المنتظم في التاريخ، (حيدر آباد الدكن ،١٣٥٧هـ)، ١٤، ١٠؛ البيروني، الجماهر،٩٩

٧- الجاحظ ، البخلاء ، ٢٠٥

٨- نفسه ، ٢٠٣

٩- نفسه ، ١٨٤

وهما (الدين والعِرض)([١])، وحجر علي بن ابي طالب(رضي الله عنه)على ابن أخيه عبدالله بن جعفر في اخراج المال في غير حقه واعطاءه في هواه([٢])، ومن وجد الغنى فليصطنعه ذخيرته ويجهد كل جهد يقول الشاعر:[٣]

فأديت عني ما استعرت من الصبا وللمال مني اليوم راعٍ كاسب

وتقول العرب ان الكمال في اصلاح المال ان ينفق الرجل الفضل من ماله ويُمسك الفضل من ماله. ([٤]) قال الشاعر ([٥]):

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير على الفساد

والقصد في المال مطلوب في الفقر والغنى، فالقصد ما ان زيد عليه كان اسرافاً، وان نقص منه كان تقتيراً. [٦] والمنفقون ثلاثة: كريمٌ مقتدر، ومسرف مبذر، ولئيم مقتر([٧]).

ويزعم البعض ان العيال هي سوس المال [٨]، فقد قال معاوية بن ابي سفيان ان العيال هم ارضة المال ([٩])، وقيل لرجل مستهتر بجمع الأموال: ما تصنع به؟ قال: اجمعه لروعة الزمان، وجفوة السلطان وبخل الاخوان ودفع الاحزان ([١٠])، وقيل لرجل ما السرور؟ قال: كثرة المال، وقلة العيال ([١١]).

١- نفسه ، ٢١

٢- نفسه ، ٢١٢

٣- نفسه ، ٢٠٣

٤- التوحيدي ، المصدر السابق ، ٣ ،٣٣

٥- الجاحظ ، البخلاء ، ١٩٩

٦- التوحيدي ، المصدر السابق ، ١ ، ٩٤

٧- نفسه ، ٢ ،١٨٦

٨- التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت٤١٤هـ) ، الامتاع والمؤانسة ، صححه عبدالمنعم مزيد ، (بيروت ، دار الأرقم ، د.ت) ، ٢١٣

٩- التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ١ ، ٩٤

١٠- نفسه ، ١ ، ٢٣١

١١- نفسه ، ٣ ، ٨٦

والعرب أميل الى حفظ المال واصلاحه لأنه منبهةٌ للكريم، ويستغنى به عن اللئيم (١)، وليس يكون في الدنيا شيء نفعه محضاً وشره صرفاً (٢)، والقصد بين هذا وذاك كما قال الشاعر (٣):

ان أكُ قصداً في الرجال فأنني أذا حلَّ أمرٌ ساحتي لجسيمُ

والعرب ترى ان المال هو مال الله سخره لعباده، فقد سُئل اعرابي معه قطيعة شاء: لمن هذه؟ قال هي لله عندي (٤).

والعرب تأنف من البخل والتقتير الزائد قال الشاعر القطامي:

ألا انها نيران قيس اذا شتوا لطارق ليلٍ مثل نار الحباحب

ونار الحباحب: قيل هو رجل لا ينتفع به في ماعون ولا موقد نار، فجعل ماله مثلاً لكل نارٍ تراها العين ولا حقيقة لها عند التماسها (٥).

١- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢ ، ٨٠

٢- الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، شرحه محمد باسل (بيروت ، دار الكتب العلمية، د.ت) ٤ ، ٤٧

٣- الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (بغداد ، مطبعة الرشيد ، ١٩٨٢م) ، ص٢٩

٤- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢ ، ٩٠

٥- المرزوقي ، الأزمنة والامكنة ، ٥٣٤

المبحث الثاني

استخدام وتوظيف المال الصامت (النقد) عند العامة:

ان توظيف الأموال عند العامة يصب اكثره في ميدان التجارة والزراعة وصار الاستثمار فيهما هو الغالب، وقد أثرى الكثير منهم وأصبح من ذوي الرساميلالكبيرة بفعل تلك الاستثمارات، ولسنا هنا بصدد عرض ذلك في هذا الموضع إلا اننا اخترنا تسليط الضوء على موضع من مواضع الجود بالمال وهو الكرم والذي يعد مفخرة من مفاخر العرب الذين يحرصون على حفظ مآثرهم واحصاء مفاخرهم، ويصنفون على انهم من أشهر الأمم التي جُبلت على تلك الصفة او الخصلة المحمودة.

الجود والكرم: تعد العرب من الاقوام التي اشتهر بالجود والكرم، وفي الإسلام اشتهر أيضا بما سمي بالطلحات وهي اسماء رجال كرام ومنهم طلحة بن عبدالله التيمي (الفياض)، وطلحة بن عمر بن معمر التيمي (طلحة الجواد)، وطلحة بن عبدالله بن عوف الزهري (طلحة الندى)، وطلحة بن الحسن بن علي (طلحة الخير)،وطلحة الخزاعي (طلحة الطلحات) وسمي بهذا الاسم لأنه كان أجودهم.[١]

ويعد اصلاح المال عند قريش مروؤة والحلم والجود سؤددا[٢]، فقد قال عتبة بن سفيان لمولاه سعد: (يا سعد لا تعهد صغير ضيعتي فيكبر، ولا تهمل كبيرها فيصغر، فأنه ليس يمنعني كثير ما في يدي عن اصلاح قليل مالي)[٣]، وكان سعيد بن الخالد بن اسيد جواداً يقال له (عقيد الندى) [٤]، وكذلك بشر بن مروان اذ اعطى لأمير شرطته (عكرمة بن ربعي) مذ كان اميراً مائة

١- التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ٥ ، ١٥٦

٢- نفسه ، ٥ ، ١٧٩

٣- نفسه ، ٥ ، ١٠٣

٤- البلاذري، احمد بن يحيى(ت٢٧٩هـ)انساب الاشراف،(بغداد،مكتبةالمثنى ،د.ت)٤، ١٦٧

ألف درهم لأنه كان كريماً ويطلق عليه (جابر عثرات الكرام)[١]، وعبدالله بن عمرو بن العاص كان سرياً، ربما قسم في المجلس الواحد من صدقة جده خمسون الف [٢]،اذا صحت الرواية.

يقول الجاحظ: (لم نر الامة ابغضت جواداً قط ولا حقرته، بل احبته واعظمته، بل احبت عقبه واعظمت من اجله رهطه)[٣]، قال تميم بن مقبل الكاهلي [٤]:

فأخلف واتلف، انما المال عارةٌ وكله مع الدهر الذي هو آكلةٌ

ويعد السخاء من الحياء، والحياء من الايمان فقد قال رسول الله،(صلى الله عليه وسلم) لوافد كذب عنده كذبة، وكان جواداً:(لولا خصلة فيك ومقك الله عليها لشرّدت بك من وافد قوم) [٥].

والمال مصان عند ذوي المروؤة والهمة العالية حتى وان فقدوا توازنه مع لشربهم الخمر، فأنهم يحافظون على عرضهم يقول عنترة:

عواذا سكرت فاني مستهلك مالي، وعرضي وافرٍ لم يكلم

ويقول زهير بن ابي سلمى([٦]):

اخي ثقة لاتتلف الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائلهُ

ويشفع الكرم والجود لصاحبه حتى وان كذب فقد قيل لرجل شريف أنفق ماله في الجود، فصار يعد ولا يفي: أصرت كذاباً؟ قال: نصرة الحق افضت بي الى الكذب([٧])،فهو يعد الجود فالمال من الحق!.

١- نفسه ، ٥ ، ١٦٦ ـ ١٧٦

٢- ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)،المعارف ،تحقيق محمد الصاوي ،(القاهرة ، المعارف ، ١٩٧٠) ، ٤٨٧

٣- الجاحظ ، البخلاء ، ١٧٥

٤- نفسه ، ١٨٣

٥- نفسه ، ١٨٠ ـ١٨١

٦- نفسه ، ١٨٤

٧- التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ٩

وان إطفاء الدين عند العامة يعد من الشرف والمروؤة والسؤدد ولا يقدر عليه الاَّ الاشراف والكرماء، فقد مرِض قيس بن سعد بن عبادة فأبطأ عليه اخوانه، فسأل عنهم فقيل له: أنهم يستحيون ما لك عليهم من الدَين فقال: أَخزى الله مالاً يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر: الا من كان لقيس عليه حق فهو منه في حِلٍ وسعة، فكُسرت دَرَجَتهُ بالعشيِ لكثرة من عاده. (١)

لاريب ان الكرم والجود يثير الغيرة والحسد في النفوس المريضة، فهذا القعقاع بن ثور الذهلي كان من كرماء العرب فأثار غيرة بني مخزوم ووصفوه بالتيه والكِبر ووشوا به عند الولاة بدواعي التحريض عليهم فقال: وقبلكم أبو جهل اخوكم غزا بدراً بمجمرة وتور. (٢)

ويحصل ان يكون رد الجميل على المكرمات على طول الدهر كما فعل أحدهم مع عبيد الله بن بكرة الذي اقطعه سبعمائة جري بدفعةٍ واحدة في مصر، فحلف ان لا يراه ابداً ألآ اخذ بركابه ولا يزوج ولداً حتى يكون عبيد الله يزوجه. (٣) ويقال للكريم هذا عقلي أبخل به، وتلك مروءتي اجود بها(٤)، واذا سألتم الحوائج فأسألوا العرب، فأنها تعطي لثلاث خصال: كرم احسابها، واستحياء بعضها من بعض، والمواساة لله.(٥)

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جواداً كريماً، اذ وهب لرجل عدداً كبيراً من الابل فلما رآها تزدحم في الوادي قال: اشهد بأنك نبي، وهذا مما تجود به الانفس.(٦)، وكان الخليفة معاوية بن ابي سفيان يقول: من لم يكن من بني عبدالمطلب جواداً فهو حميل (دخيل).(٧)

١- نفسه ، ٤ ، ٢٤١

٢- الثعالبي، ابي منصور عبدالملك(ت٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،(بيروت، المكتبة العصرية،٢٠٠٣)، ١١٠

٣- ابن قتيبة ، المعارف ، ٢٨٩

٤- التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ٢٧٩

٥- ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣ ، ٣٢٤

٦- الجاحظ ، البخلاء ، ١٧٤

٧- نفسه ، ١٧٣

ويدخل في الكرم قِرى الضيف ويعدونه عندهم أي العرب مكرمةً لأنهم في حال بداوة وشظف عيش[١]،ومن كرامة الضيف تعجيل قِراه قال الشاعر[٢]:

أسأتم وابطأتم على الضيف بالقِرى وخير القرى للنازلين المعجل

وينسحب الامر بالكرم الى الجود بالنفس وايثار الغير بما يطلق عليه بالمصافنة والتي هي اقصى غاية الجود ولا تقدر بمال ، فقد ذُكِران كعب بن مامة من اجواد العرب المشهورين قد جاد بحوبائهِ (نفسه)عند المصافنة (وهي تقاسم الماء مع رفيق السفر)[٣].

وتأنف العرب من مسألة الناس عند الحاجة الى المال وتعدها شر كسب المرء[٤]، وتعيب الاستجداء والسؤال، فقد سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يعطَ شيئاً، فأحسن الدعاء فبادروا اليه فقال ليس لي بكم الان حاجة وقد رفعت حاجتي الى الله. [٥]

والعرب تقول ان غلبت يوماً على المالِ فلا تُغلبن على الحيلة على حال، وكن احسن ما تكون في الظاهر حالاً، أقل ما تكون في الباطن مالاً[٦]، يقول حسان بن ثابت[٧]:

رُبَ حِلمٍ اضاعهُ عدم المالِ وجهلٍ غطى عليه النعيمُ

١- العقد الفريد ، ٥ ، ٥

٢- الثعالبي ، ثمار القلوب ، ٤٣

٣- الجاحظ ، البخلاء ، ١٧٥

٤- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢ ، ٨٠

٥- العقد الفريد ، ٣ ، ٣٩

٦- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢ ، ١١٤

٧- نفسه ، ٢ ، ٣٢٥

والكرماء هم محط اعين الناس وترنو لهم القلوب والابصار لأنهم خير معينٍ وعون للمروؤة، فقد مشى رجال من تميم الى عتاب بن ورقاء ومحمد بن عمير وهم من اشراف تميم في عشر ديّات فقال محمد: عليٌ ديّة، فقال عتاب: عليٌ الباقية، فقال محمد: نعم العون على المروؤة المال.[١]

وليس كل شيء يشرى بالمال، وهناك من يأنف ان يأخذه اذا تعارض مع القيم والمبادئ، ويذكر في هذا الصدد ان الخليفة عبدالملك بن مروان دعا ايمن بن خريم الاسدي وقال له: ان أباك كان له صحبة، فخذ هذا المال وقاتل ابن الزبير فقال[٢]:

ولست بقاتلِ رجلاً يصلي على سلطان آخر من قريش

والعرب هم ألهج امة بحفظ المآثر، وأحرصها على إحصاء المفاخر[٣]، فلهذا كانوا يحرصون على ادامة تلك المآثر من خلال اصلاح الأموال واستزادتها وصونها، والعرب تصف الغنى بأنه طويل الذيل ميّاس[٤]، والجود أسم لمقدار من المقادير، والسرف لما فضل عن ذلك المقدار، وللاقتصاد مقدار، والبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار[٥]،في حين انها تعد الفقر سالب للعقل والمروؤة[٦]، وهو لا يحتمل الا بإيمان صلب[٧]، لهذا اقتضى التعايش لأنه صلاح شأن جميع الناس والتعاشر على الفطنة والتغافل.[٨]

١- نفسه ، ٢ ، ٣٠٦

٢- ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٤٠

٣- الثعالبي ، ثمار القلوب ، ٢٣٤

٤- التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ٧ ، ١٤٠

٥- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١ ، ٢٠٢

٦- التوحيدي ، المصدر السابق ، ٥ ، ١٧١

٧- نفسه ، ٧ ، ١١٥

٨- الجاحظ ، البيان والتبين ، ١ ، ٨٤

المبحث الثالث

استخدام وتوظيف المال الصامت في المؤسسات الرسمية

لم تتوفر الدولة الإسلامية في اول امرها على قدر من الأموال يكفي لسداد متطلبات الدولة الفتية، ونقصد هنا عصر النبوة والخليفة أبا بكر الصديق(رضي الله عنه)الا انه لم تلبث ان انثالت عليها الأموال جراء عمليات الفتح الكبرى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[١] الذي قال في احدى خطبه:(من أراد ان يسأل عن المال فليأتني فأن الله جعلني له خازناً وقاسماً، أني بادي بأزواج الرسول فمعطيهن، ثم المهاجرين الاولين ثم الأنصار ،ومن أسرع الى الهجرة أسرع إلى العطاء، ومن ابطأ ابطأ عليه)[٢]، فهذا النص يوضح لنا بان الخليفة وضع القواعد الأساسية والعامة في انتخاب الفئات المستفيدة من ذلك المال وحسب الاسبقية في الإسلام والقرابة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وارسى في ذلك آليات تطبيق العطاء الذي هو بمثابة راتب يطال كل تلك الفئات وهي سابقة متقدمة في التوزيع العادل للثروات على مستوى كل الأمم على مر التاريخ .[٣]

تميز العطاء في الدولة الإسلامية بوصفه نظاماً اجتماعياً متقدماً ضمن للعرب المقاتلة وذراريهم موردا ثابتاً، فضلاً عن كونه نظاماً اقتصادياً ادخل كميات هائلة من النقود وبالتالي خلق حركة اقتصادية واسعة.[٤]

١- أبن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى، اعد فهارسها رياض عبدالله(بيروت ،دار احياء التراث العربي،١٩٩٦م)،ج٤ ، ٢١١

٢- ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ٤ ، ٦٣؛ وينظر الطبري ، تاريخ، ٥ ، ٢١٠ ؛ ابن سعد الطبقات الكبرى ، ٤ ، ٢٢

٣- للأستزادة هنا ينظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، حوادث السنين١٢-٢٣ (بيروت، دار، الكتب العلمية،٢٠٠٨)؛ وينظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣ ، ٣٢

٤- السامر، فيصل، نهضة التجارة العربية في العصور الوسطى الإسلامية مجلة المؤرخ العربي عدد١٧،الأمانة العامة لأتحاد المؤرخين العرب/ بغداد، ١٩٨١، ص٧٥

رغب الناس بعد تلك الفتوحات بالإنسياح الى الامصار الجديدة ومنها البصرة، فقد سأل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): كيف المسلمون؟ فقيل: انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة[١]، فكان من الطبيعي ان يحرص الخليفة على كبح جماح عماله أولا لان النفس الإنسانية أمارةٌ بالسوء ولئلا تفسد الأموال طبائعهم وغرائزهم فهذا عتبة بن غزوان عامله على البصرة يقول:(وقد رأيتني في سبعة انفر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نأكل العضاه حتى قرحت اشداقنا، ثم أصبحنا وما منا أحد الاّ على كورة من هذه الكور)[٢]، فقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)على الخشونة والزهد لئلا يتمرد العرب على بداوتهم بعد ان رأوا ما رأوا، فقد بنى عمرو بن العاص(رضي الله عنه) عامله على مصر دارا فيها فكتب

له: (أنّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر) وأمره ان يجعلها سوقا [٣]، بل وعمل على مقاسمة أغلب عماله في أموالهم[٤]، وفي نفس الوقت كان يثمن دور عماله الذين يثق بزهدهم وأمانتهم، فقد قال لعمير بن سعيد وقد رجع من عمله على حمص وليس معه إلاَّ جراب وأدوات وقصعة وعصا: ما الذي أرى بك من سوء الحال أوَ تَصَنُع (سوء الظن الإيجابي)، وكان يسميه (نسيجٌ وحده) لزهده وعبادته وكثرة اعجابه به. [٥]

١- الطبري ، تاريخ ، ٣ ، ٥٩٥

٢- التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ٥ ، ٢١

٣- ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت٢٥٧هـ) ، فتوح مصر واخبارها، تحقيق CHARLES G-TOORY (ليدن، مطبعة بريد، د.ت) ، ١٢٩

٤- العسكري ، ابي هلال الحسن بن عبدالله (ت٦٦٨هـ) ، الأوائل ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧) ، ص١١٨

٥- الجاحظ ، البيان والتبين ، ٣ ، ٤٣

لا جرم ان ما يدعو اليه ويحرص عليه الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) من التشديد على محاسبة عماله هو في صلب العقيدة الإسلامية التي تتسم بالزهد وبساطة العيش وتمنع من الانجرار وراء الشهوات واللذات في هذه الدنيا الفانية والتي هي متاع الغرور كما يدعو القرآن الكريم وان الحياة الآخرة هي الباقية وهي الهدف الأسمى، فقد كتب اليه سعد بن ابي وقاص عامله على الكوفة يستأذنه في بناء بيته، فيقول له: (أبن ما يكنك من الهواجر، وأذى المطر).[١]

وقد فطن الخليفة عمر (رضي الله عنه)لما يمتلكه من شدة وصرامة في قول الحق وألمعية في فهم الأمور لما يتلجلج في صدور المسلمين حين رآهم قد أخصبوا وقاربوا عيش العجم بأن (تمعدووا واخشوشنوا واقطعوا الركب، وأنزوا على الخيل نزواً) [٢]، كما وانه اعطى المجال لعماله ان يعالجوا امراً معيناً ليس فيه من كتاب ولا سنة، فقد قال لعامله ابي موسى الاشعري (الفهم، الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة) [٣]، بمعنى انه اعطى المساحة الكاملة للعقل الإنساني بأن يكون خلاقاً ومبدعاً في حل وحسم الأمور العالقة، بل وتعدى الامر الى أزيد من ذلك، بأنه على شدته لم يكن متفرداً في اتخاذ قراراته بل كان يستشير أصحابه في إدارة الدولة سيما في المسائل الخلافية ومنها فيما يرتبط ببحثنا الذي في أيدينا منانه حين اقدم على تأميم ريع الأراضي المفتوحة في العراق والشام وجعلها فيئاً لكل المسلمين على الرغم من اعتراض بعض الصحابة كون تلك الأراضي اخذت عنوةً وان مآلها الى الفاتحين حسب النص القرآني، إلى انه حرص ببعد نظره على الأجيال اللاحقة التي سوف لن يصيبها شيء من فيء تلك الأراضي[٤]، وبمشورة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) [٥]، قرر تأميم الأرض وريعها الى كل المسلمين

١- العقد الفريد ، ٦ ، ٢٢٣

٢- الجاحظ ، المصدر السابق ، ٣ ، ٢٤

٣- ابن الاثير، النهاية، ٤ ، ٢٤٣

٤- ابو عبيد ، القاسم بن سلام ، (ت٢٢٤هـ) ، الأموال ، (بيروت ، دار الكتب .العلمية ، ١٩٨٦م) ، ٦٧

٥- نفسه ، ٦٨: قال علي (رضي الله عنه): دعهم يكونوا مادةً للمسلمين .

ولكل الأجيال فحبسه أي هذا المال فيما يجري على المسلمين[١]، وحسبنا ان نعرف مقدار الأموال التي كانت ترد في عهده من سواد العراق حصراً قد بلغت ١٢٠ مليون درهم في السنة [٢]، فكانت اغلبها توزع على المسلمين من خلال ديوان العطاء كرواتب ثابتة.

كفل الخليفة عمر(رضي الله عنه)حرية التعبير عن الرأي واستطاعة الفرد من الاعتراض على امر معين، فقد قال له رجل: اتق الله يا امير المؤمنين، فرد عليه رجل: لا تألِت امير المؤمنين، فقال عمر: دعهم فلا خير فيهم ان لم يقولوها، ولا خيرَ فينا ان لم تُقل لنا. [٣]

نفهم مما تقدم ان الآليات السياسية التي قامت عليها الدولة الإسلامية في عصرها الراشدي قد استندت الى الشورى والانتخاب والمبايعة التي افضت الى الحكم الرشيد والمستنير مما يحفظ حقوق الناس وتوزيع الأموال بشكل عادل بل والسماح لمن شاء بالاعتراض على الامر حتى وان كان على الخليفة نفسه، وينسحب الأمر كذلك على الخليفتين عثمان وعلي(رضي الله عنهما) من حسن إدارة الدولة رغم ما شابها بعض الملابسات التي عكرت مسارها وبقيت الدولة قائمة تقوم بالعدل على نحو كبير، ولعل الفتوحات في عهد عثمان (رضي الله عنه)، وما جلبته من موارد هائلة فضلاً عن توسع رقعة الإسلام في أماكن جديدة، فبقيت تلك المرحلة ناصعة ومشرفة للإسلام ومثال للعدل والزهد وحفظ واصلاح ومداراة أموال الدولة، فهذا الخليفة علي بن ابي طالب(رضي الله عنه) ما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم اعدّها لخادم له. [٤]

١- نفسه ، ٦٧

٢- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ)،الاحكام السلطانية والولايات الدينية ،تحقيق خالد الجميلي (بغداد ،دار الحرية، ١٩٨٩م) ، ١٧٥

٣- التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ١ ، ١٩ ؛ وألتناهم تعني ما نقصناهم

٤- العقد الفريد ، ٣ ، ٢٣٨

وكان الخليفة الأموي الأول معاوية بن ابي سفيان(٤١-٦٠هـ) يحرص على اصلاح ومدارة المال، فقد طلب منه عبدالله بن عامر بن كريز ان يقطعه مالاً بالطائف فقال: عش رجباً ترى عجباً، وكان يقول من وليناه فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل [١]، وقال الخليفة الوليد بن عبدالملك (والله لأجمعن المال جمع من يعيش ابداً، ولأفرقنه تفريق من يموت غدا) [٢]، وأمر الخليفة يزيد بن عبدالملك (١٠١-١٠٥هـ) بعطائين عند لقائه بوفد بني شيبان [٣].

اما الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ) فقد كان مدبراً وحريصاً ودقيقاً في محاسباته [٤]، وعمل على إيجاد النظام والرخاء الذين جنى ثمارهما هارون الرشيد ومن جاء من بعده [٥]، وكان يجري الأموال على القواعد من النساء اللاتي لا ازواج لهن وكذلك العميان والايتام [٦]، وقد عرف بأبي الدوانيق لشدة حرصه على الأموال لما فيه قيام الامة وتثبيت دعائم الدولة الفتية حتى ان السواد الذي كان يلبسه المنصور مرقوع الجربان (جيب القميص).[٧]

ومجمل القول ان الدولة الإسلامية مرت بمراحل عدة، وتوفرت على رجال كانوا على قدر عالٍ من المسؤولية تجاه أنفسهم اولاً وتجاه الرعية فيما يتصلع بإدارة الأموال إدارة صحيحة وفقاً للشريعة والحكم الصالح والرشيد تركت نقاطاً مضيئة وخالدة على مر العصور.

١- نفسه ، ٤ ، ٢٠٦ ؛ التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ٤ ، ١٨

٢- الجاحظ ، البيان والتبيين ،٢ ، ٢٠٧

٣- نفسه ،١ ، ٣٤٨

٤- العقد الفريد ، ٤ ، ٤٧٣

٥- ديورانت ،ول ،قصة الحضارة(عصر الايمان)، ترجمة محمد بدران ،(القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٩م) ، ٨٨

٦- التنوخي ، ابي علي المحسن بن علي ، (ت ٣٨٤هـ) ، المستجاد من فعلات الاجواد ، تحقيق محمد كرد علي ، نسخة مصورة ، ٣٤

٧- التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ١ ، ٢٤١

المبحث الرابع
بعض أنواع توظيف الأموال

المطلب الأول

التوظيف السلبي للمال

سخّرت الدولة الإسلامية في عصورها المبكرة الأموال التي حازتها جراء عمليات الفتوح الكبرى في خدمة وبناء الانسان والمؤسسات على حد سواء اذا ما علمنا ان إيرادات سواد العراق فقط وعلى مدار ثلاثة قرون تراوحت في كل سنة من ١١٠- ١١٢ مليون درهم، والبصرة وحدها ٦٠ مليون والكوفة٥٠ مليون ومليونان لباقي ارض السواد [١]، وتحلى الفاتحون الأوائل بقدر كبير من النزاهة والصدق، الا ان الانانية والجشع وحب المال والجاه لم تلبث اندبّت في نفوس الأجيال التي تلتهم لما يُفاض اليهم من الأموال حتى سادت مظاهر النعيم والثراء، (ففي مدينة الكوفة جمعت الاسرات البارزة ثروات هائلة) [٢].

ونستطيع ان نتفهم ما آلت اليه أحوال الامويين اذ بان انقضاء دولتهم بما قاله الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور حين قال:(لم يزالوا على استقامة حتى افضى امرهم الى أبنائهم المترفين، وكانت همتهم مع عظم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وايثار اللذات فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة) [٣]، فهذا عبدالله بن خازم السلمي عامل معاوية على خراسان يصب دراهم العطاء على من حوله ويقول: (لعنك الله من دراهم ما تقومين بمؤونة خيلنا) [٤]،وكتب عبدالله بن خالد عامل الخليفة عبدالملك على خراسان: ان خراجها لو كان في مطبخه لم يكفه

١- الجاحظ ، الرسائل ، ٤ ، ١١٠

٢- فان فلوتن ، السيادة العربية، تحقيق وترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم (القاهرة ، مطبعة النهضة العربية ، ١٩٣٤م) ، ٢١

٣- العقد الفريد ، ٤ ، ٢٧٣

٤- الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢ ، ٢٨٥

حتى عزله سنة٧٨ للهجرة[١]، وأن همة وعزيمة الخليفة عبدالملك بن مروان هي التي شفعت لأحد ابنائه الذي كان احمقاً مترفاً وقد طار له بازي فقال: أغلقوا أبواب المدينة لئلا يطير البازي. [٢]

ان نظام التوريث في الحكم الذي جرى بعد انقضاء الحكم الراشدي أسهم في الامتياز في الفرص السانحة امتيازاً آخراً في الأملاك [٣]، بمعنى ان القلة او النخبة المقربة هي التي احتكرت المناصب والأموال وحيّدت الكثير من أبناء الامة في أخذ دورهم وتأدية واجباتهم بحسب جدارتهم(فنشأت حرب الطبقات الأبدية وفتيل الثورات التي أسهمت في ضعف كيان الدولة) والتي كان لها اثراً بالغاً لم تخمد جمرته قط وكان لهيبها يندلع من وقت الى اخر على شكل ثورات مختلفة. [٤]

عمل الخلفاء العباسيون الأوائل على توطيد الملك من خلال القضاء على كل المعارضين والمتمردين وبسط سلطة الدولة والقانون، ولم تظهر حالات فساد مادي تستحق الذكر بالنظر لقوة الدولة في أول امرها، ولكن لم تلبث أن بدأت تظهر بعض الحالات السلبية التي ما فتأت تدب وتنخر في جسد الدولة في عصورها اللاحقة، وهناك الكثير من الشواهد التي تدلل على ذلك لا يتسع المجال لذكرها كلها، فلو عرفنا ان الخليفة المتوكل(٢٣٢-٢٤٧هـ) أنفق من خزينة الدولة ٣٠٠ مليون درهم في بناء القصور[٥]،وعزم هو ايضاً على عمل (الشاذكلاه) وهو يوم الفرح العظيم بالورود من غير أيام الورود، فقالوا لا يكون الا بالورود، فأمر ان تضرب له دراهم في كل درهم حبتان وثم ضرب خمسة ملايين درهم، فنثر الدراهم كما ينثر الورد، وعمل سرير من الذهب

١- العقد الفريد ، ٤ ، ١٢٦

٢- ابن قتيبة ، المعارف ، ٣٨٥

٣- ول ديورانت ، المرجع السابق ، ٨٨

٤- نفسه ، ٨٨

٥- القيرواني ، ابي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الالباب، (بيروت ، دار الجيل ، د.ت)، ٢٢٩؛ الشابشتي ، ابي الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ) ، الديارات ، (بيروت ، دار الرائد ، ١٩٨٦م)، ص٥٦ ؛ يقول انها بلغت ٢٧٤ مليون درهم.

على غرار سرير سليمان بن داوود [١]، وناهز عدد الخدم في عهد الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) احد عشر الف خادم صقلبي ورومي وأسود، وعدد الفراشين لنوبة واحدة ٤٠٠٠ فراش. [٢]

ووصل استهتار الامراء بالأموال الى الحد الذي جعل الوزير الحسن بن سهلي كتب رقاعاً فيها أسماء لضياعه وينثرها على القواد وبعض بني هاشم فمن وقعت في يده رقعة فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها [٣]، وبلغت ارباح فرج الرخجي[٤] عند مشاركته لتجار الغلات لـ١٢٠مليون درهم[٥]، وأن فرق ضمان لعمال السيدة شغب ام المقتدر بالله في جهة واحدة من النواحي ٣٠ألف دينا[٦]، فلنان نتصور مقدار النهب لعمالها فقط ، وان تكلفة نفقة عرس المأمون ٣٥ ملي وندرهم [٧]، وبلغ من رزء الخلافة ان الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ) فقد مهابته وطمع الناس فيه، أذ رأوه مغلوباً على امره وأنه طلب ٣٠٠ ديناراً ليصل بها احدى الجواري فلم يجد لأن الخليفة الموفق استبد بالأمر وحجب عنه كل شيء[٨]، وبلغ الامر ان الخليفة القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ) لما خلع وسملت عيناه، خرج الى جامع المنصور ببغداد، فعرّف الناس به وسألهم التصدق عليه. [٩]

١- الشابشتي ، الديارات ، ١٦٠-١٦١

٢- التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ٥ ، ١٤٨

٣- الطبري ، تاريخ ، ٨ ، ٦٠٨

٤- فرج الرخجي: كان مملوكاً لحمدونة بنت الرشيد وهي المعروفة بحمدونة بنت عصص، وكان من سبي معن بن زائدة، قلده الرشيد الاحواز وصرفه عنها سنة ١٩٢ هـ .الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ) ، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبدالحفيظ شلبي(القاهرة، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٣٨م) ، ٢٥٠

٥- التنوخي ، ابي علي المحسن بن علي،(ت٣٨٤هـ)،الفرج بعد الشدة ،تحقيق عبود الشالجي(بيروت ،دار صادر ، ١٩٩٥) ١ ، ٣٦٨ ؛نفسه ، نشوار..المحاضرة ، ٨ ،١٥٥

٦- نفسه ، نشوار المحاضرة ، ١ ، ٢١١

٧- الشابشتي ، الديارات ، ١٥٨

٨- نفسه ، ١٠١- ١٢٠

٩- ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ الدمشقي(ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ،(أشرفت على طبعه مكتبة المعارف في بيروت ومكتبة النصر في الرياض ،١٩٦٦)، ٣ ، ١٠٣

وقُوِمت خزائن قبيحة ام المعتز من الجواهر والزمرد فكانت قيمته الفي ألف دينار[١]، ولخص الخليفة المقتدر بالله(٢٩٥-٣٢٠هـ) الحال بأن قال: (أما انا فليس لي ام احتاج لها الى غلة عشرة الاف ألف في كل سنة لجواريها وخدمها، وما اريد لنفس وولدي الا القوت).[٢] وهناك الكثير من الشواهد التي تدلل على الاستخدام السيء للأموال والذي أسهم في تردي الأوضاع مما تسبب في ضعف كيان الدولة.

المطلب الثاني

التوظيف السياسي للأموال

بدأ الصراع السياسي على السلطة منذ عهد مبكر من قيام الدولة الإسلامية، وكل يدّعي احقيته في ذلك منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)وتنازع الأنصار والمهاجرين حول ادارة الدولة وما تمخض عنه اجتماع السقيفة من تولية ابي بكر(رضي الله عنه) خلافة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وانبثاق ما أطلق عليه بالشورى والبيعة، والتي لم يكتب لها الرسوخ والثبات وما لبثت ان ضعفت بعد فترة وجيزة، ففي العصور الاموية والعباسية كانت المبايعة صورية وتؤخذ للأخ او الابن وتبعث الى الآفاق لغرض المبايعة والموافقة ولو بشكل رمزي، وربما أخذت اطواراً أخرى سالت فيها الدماء وفقأت الاعين كما حدث في العصور العباسية اللاحقة.

ان أسلوب الاكراه على البيعة استخدمه عبدالله بن الزبير مع محمد بن علي بن الحنفية وعبدالله بن عباس حين طرحهما في زمزم وصادر اموالهما في مكة [٣]، حتى ان المسلمين في ٦٦هـ للهجرة حجّوا ثلاثة منازل، فهذا محمد بن علي في أصحابه على حدة، وحج عبدالله بن الزبير في أصحابه على حدة، ونجدة بن عامر الحروري وهو من الخوارج على حدة ولم يكن

١- الطبري ،تاريخ ، ٩ ، ٣٦٥

٢- نفسه ، ٩ ، ٣٩٦

٣- مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، اخبار الدولة العباسية (اخبار العباس وولده)،تحقيق د. عبدالعزيز الدوري، ود. عبدالجبار المطلبي(بيروت، دار الطليعة ، ١٩٩٧م) ، ١٠٠

خليفة اموي آنذاك[١]، بمعنى ان الصراع السياسي على السلطة بلغ أوجَهُ وترتب على ذاك بأن الغلبة للقوي في عصبته وماله.

من خلال ما تقدم ودون الاسترسال في هذا الشأن نقول ان التوظيف السياسي للمال كان له الفعل الأكبر في تثبيت وتوطيد دعائم الحكم بالقضاء على الثورات التي لم تنقطع على مدار سني الدولة الاموية، وعملت تلك الثورات على الاستقواء بأموال الدولة ونهبها من خلال الفراغ السياسي خاصة في الستينيات من القرن الأول الهجري، فقد أصاب المختار بن ابي عبيد الثقفي تسعة الاف ألف درهم من بيت أموال الكوفة ونهبها بعد ان سيطر عليها، حتى صار يوزع على أصحاب هو يشتري الذمم كما وأشرك الموالي الذين انضموا الى ثورته [٢]، والخوارج ايضاً كانوا يجتب ونال مال ويأكلون الأرض ويستقوون بعد سنة٦٥هـ [٣]، وخرج عبدالله بن الحر وهو ايضاً من الخوارج من الكوفة الى المدائن غداة فتنة ابن الزبير، فلم يدعم الاً قدم من الجبل الى السلطان الا واخذه [٤]، وأخذ أموال الفلوجة وتكريت وجوخى وكسكر وصادرها وكلها من أعمال سواد العراق [٥]، وفرض عبدالملك بن مروان لأهل عنزة حين اتوه برؤوس الخوارج ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك الا قليلة وأنزلهم بانقيا[٦]، وألحقَ ايضاً قاتل قطري بن الفجاءة بألفين من العطاء، ونود الإشارة هنا الى ان قطري هذا وهو من قادة الخوارج كان قد سكَّ العملة سنة ٧٥ للهجرة. [٧]

واستخدم بعض الخلفاء أسلوب قطع العطاء عن مستحقيه كما فعل الخليفة معاوية بن ابي سفيان أذ حرم عبدالرحمن بن ام الحكم عطاءه لموجدةٍ وجدها عليه[٨]، ويحصل ان يهب القائم

١- نفسه ، ١٠٥

٢- الطبري ، تاريخ ، ٦ ، ٥/٣٣ ، ٤٤

٣- نفسه ، ٦ ، ١٢٧

٤- نفسه ، ٦ ، ١٢٨

٥- نفسه ، ٦ ، ١٣٠ ـ ١٣٥

٦- نفسه ، ٦ ، ٢٢٤

٧- نفسه ، ٦ ، ٣١٠

٨- نفسه ، ٥ ، ٣٢

بـالأمر مدينـة بقضـها وقضيضـها وخراجها ومواردها طعمـة لأحدهم استمالةً لـه او تحييدا لـه بعدم الدخول كطرف في الصراع القائم كما حصل مع عبدالله بن الزبير من جهة والمروانيين من جهة أخرى، وكما فعل مصعب بن الزبير حين اعطى اصبهان طعمةً لإسماعيل بن طلحة [١]، واشترط الحصين نمير على مروان بن الحكم بان يبايع له على ان يتنزل البلقاء لمن كان بالشام من كندة، وان يجعلها لهم مأكلة، فأعطاه ذلك.[٢] وثار يزيد بن ابي النمس الغساني بأهل دمشق في عبيدها فغلب عليها وعلى الخزائن وبيت المال وبايع لمروان بن الحكم وأمدّه بهذه الأموال وهو في الجابية. سنة ٦٤ للهجرة [٣]، ولأجل احتواء أحدهم من الذين يملكون القوة والقدرة في التأثير تدفع الأموال لـه وهي بمثابـة رشـىً كما فعل عامل الخليفة عبدالملك على خراسان حين صالح بكير بن وشاح على اربعمائة الف وولاه سنجان كي يأمن جانبه. [٤] ويستطيع احد الولاة المكلفين بحفظ بيت المال كونه ملك عام للدولة وان تصرف أمواله وتنفق حسب السياقات المتبعة ان يقرر بعد ان علم بأمر إقالته من منصبه أن يغدق الأموال دون وجه حق، كما فعل خالد بن عبدالله اذ قسم مليون درهم على اهل البصرة حين علم بقدوم الحكم بن أيوب الثقفي عاملاً على البصرة من قبل الحجاج وذلك سنة ٧٥ للهجرة.[٥] ان الانفاق على الجيوش اخذ حيزا كبيرا من أموال الدولة من اجل عمليات الحربية، فقد انفق الحجاج على جيش ابن الاشعث الذي بعثه الى سجستان الفي الف درهم وكان يدعى جيش الطواويس [٦]، وبعدها يفرق ١٥٠ الف الف درهم في قادة جيشه للقضاء ابن الاشعث نفسه غداة زحفه الى البصرة ثائراً على نظام الحكم. [٧]

١- نفسه ، ٦ ، ١٢٥

٢- الطبري ، تاريخ ، ٥ ، ٥٤٤

٣- نفسه ، ٥ ، ٥٣٧

٤- نفسه ، ٦ ، ٣١٥

٥- نفسه ، ٦ ، ٢٠٩

٦- نفسه ، ٦ ، ٣٢٩

٧- نفسه ، ٦ ، ٣٤١

اما في العصور العباسية فلم يختلف الامر كثيرا بل زاد عن ذلك من اجل دفع غائلة الثورات المتعاقبة، فقد اقطع الخليفة المنصور(نيبخت) المنجم الفي جريب مكافأة له لأنه تنبأ بالظفر بإبراهيم بن عبدالله وذلك في سنة ١٤٥ للهجرة [١]،ويذكر ان ابراهيم بن عبدالله ظهر في البصرة ووضع يده على ٦٠٠ الف درهم وجدها في بيت مالها[٢]،وامر الخليفة المنصور لمعن بن زائدة بعشرة الاف عدرهم وولاه اليمن لبلائه ضد الراوندية [٣]، وانفق ٦٣ مليون درهم على الجيش الذي بعثه الى افريقيا بقيادة يزيد بن حاتم. [٤] ومن اجل استجابة ولي العهد للخليفة بان يخلع نفسه من ولاية العهد وجبان يأخذ مقابل ذلك عشرة ملايين او عشرين مليون درهم وقطائع كثيرة كما حدث مع الخليفة المهدي(١٥٨-١٦٩هـ) وولي عهده عيسى بن موسى[٥]، وأقطع الخليفة المهدي كذلك الحسن بن إبراهيم بعد ان أمّنه مالا من الصوافي بالحجاز[٦]، وامتنانا منه لأهل خراسان الذين آزروه وكانوا رأس الحربة في قيادة جيشه الذي زحف به الى بغداد وقتله لأخيه الأمين واعتلاءه لسِدة الحكم، فقد أمر الخليفة العباسي المأمون بأن يحط عن خراسان ربع خراجها استمالة لرؤوس القواد والنقباء.[٧] وشاعت عمليات المصادرة في العصور العباسية على نحو كبير وهناك مئات الشواهد التاريخية على ذلك وخصوصاً في العصور اللاحقة بسبب عمليات الفساد السياسي والمالي ونهب الأموال لا يسع المجال لذكرها، وان اغلب إجراءات المصادرة لها ما يبررها فعلا بسبب الثراء الفاحش لرجال الدولة من المال العام، الا ان الذي لا نجد له مبرراً قيام طاهر بن الحسين وهو من رجال المأمون بقبض ضياع من لم ينحز اليه في الفتنة بين الأمين والمأمون من

١- نفسه ، ٧ ، ٦٤٨
٢- نفسه ، ٧ ، ٦٣٥
٣- نفسه ، ٧ ، ٥٠٨
٤- نفسه ، ٨ ، ٤٤
٥- نفسه ، ٨ ، ١٢٢
٦- نفسه ، ٨ ، ١٣٣
٧- نفسه ، ٨ ، ٣٣٢

بني هاشم والقواد والموالي وغلاتهم من ارباض الكرخ [١]، وأستغل العطاء لأغراض سياسية كما فعل الحسن بن سهل مع اهل بغداد من الجند والحربية والأهالي حين أمطلهم العطاء. [٢]

ويذكر ان الخليفة المأمون سوّغ وزيره الحسن بن سهل عشرة ملايين درهم من مال فارس واقطعه الصلح [٣]، وأضاف اليها ٤٠مليون أخرى وخلع على قواده حسب مراتبهم المبلغ كله. [٤]

كان الاثراء من الأموال العامة متفشيا في العصور العباسية، فقد كانت واردات علي بن عيسى الجراح عند الاعتزال والعطلة عن الوزارة تبلغ ٣٠ألف دينار، وواردات الوزير ابن الفرات وهو خارج من وزارة تنوف عن المليون دينار وإذا وزر اضعفت[٥]، ومصادرة أموال صاعد بن مخلد على يد الخليفة الموفق، فكانت من الضياع ما مقداره مليون دينار، والمتاع والكسوة والطيب والجوهر والفرش والآلات مالا قيمة له كثرة، ونحو ٤٠٠٠ راس من الدواب والبغال و ٤٠٠٠غلام ومن النقد ٢٠٠ ألف دينار.[٦] ان ازدياد حالات الترف في المجتمع اتبعه الحاجة لتلبية تلك النزوات ما أدّى الى الاستدانة التيهي الوسيلة المتّبعة لإشباع تلك الحاجات مما مهد السبيل لقيام المؤامرات وبالتالي إيجاد الذريعة للاستيلاء على المال العام [٧]، ثم شاعت المصادرات وعمليات التعذيب القاسية حتى ان الوزير ابن الزيات قال عندما كان يعذب المُصادَرين بالتنور وهم ينادون بالرحمة انها أي الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة [٨]، ناسياً أنه سيتم تعذيبه وقتله بالتنور الذي كان يستخدمه للتعذيب ولنفس الأسباب.[٩]

١- نفسه ، ٨ ، ٤٤٧

٢- نفسه ، ٨ ، ٥٤٣

٣- نفسه ، ٨ ، ٦٠٨

٤- نفسه ، ٨ ، ٦٠٨

٥- التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ٥ ، ٧٨

٦- الشابشتي ، الديارات ، ٢٧٣

٧- فان فلوتن ، السيادة العربية ، ٢١

٨- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، (ت٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات، اعتناء هلموت هيتر (ايران ، بلا ، ١٩٦٤م) ، ٤ ، ٣٤ ،١٤٨٦

٩- الصابي ، أبو الحسن الهلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ) ، الوزراء او تحفة الامراء في تأريخ الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨م) ، ١٥٦

ان ضـعف الدولـة العباسـية وعوامـل انحلالهـا يرجـع الـى العلـة الاقتصـادية فـإذا مـا حصـل اضطراب فـي العوامل الاقتصادية لأية أمـة قد يكون ذلك عاملاً على فنائها [١]، فبعد ان كانت الدولة قوية في أول امرها باتت ضعيفة في آخر امرها اذع سمحت او تقبلت على مضض تفككها الى دويلات مستقلة عن العاصمة بغداد كما حدث مع بني طولون والدولة الأخشيدية في مصر والدولة الطاهرية في خراسان وغيرهما فنتج عنه وقف تدفق الأموال وحجبها عن العاصمة مما زاد من متاعبها ولأجراء مقارنة في ذلك فأن الخليفة المنصور دخل من باب الذهب في بغداد فإذا بثلاث قناديل مصطفَّة فقال: اما واحدٌ من هذا كافياً، ومر على ناس يأكلون ولم يشبعوا فدعا القهرمان وأنبّه فقال القهرمان: رأيتك قدرت الزيت، فقدرت الطعام فقال له: وانت لا تفرق بين زيت يحترق في ذات الله، وطعام اذا فضل وجد له آكلا [٢]، في حين ان جيش الافشين لحرب بابك كان يأكل الكعك والسويق وصرفت عليه مبالغ طائلة قدرت بـ ٣٠ مليون درهم[٣]، نظراً لقوة الدولة في أول امرها وما آلت اليه بعد ذلك، حتى اذا احتاج الخليفة الى بعث لمقاتلة خارج او مارق على الدولة وهي تشكو قلة الأموال ويحتاج اليه لإنهاض العسكر يضطر الوزير بأن يحظر النفقات ويمنع المرتزقين. [٤]

كما وأن ضعف الدولة العباسية وعوامل إنحلالها لم تفت في عضد الدين الإسلامي، فبقى الإسلام وظلت وحدته سليمة في العقول والالباب على الرغم من نضوب الموارد المالية وتفكك أواصر الدولة المركزية.

١- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ٨

٢- التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ٤ ، ٥٦

٣- الطبري ، المصدر السابق ، ٩ ، ٥٢

٤- الصابي ، الوزراء والكتاب ، ٢٠٧٨٨

الخاتمة

كنا قد استعرضنا في ثنايا بحثنا هذا أهمية اصلاح ومداراة المال الصامت (النقد) في الدولة الإسلامية منذ نشأتها وحتى منتصف القرن الثالث الهجري، وبيّنّا كيف ان المال الصامت هو جزء او فرع من المال العام بكل صنوفه، وان تلك الأموال كانت تقدر أقيامها بالنقد أي الذهب والفضة، والمال الصامت (النقد) هو الذي تدور في محوره وفلكه كل الأموال.

وقد استخدم المال الصامت بشقيه الذهب والفضة كأساس ومعيار للقيم التبادلية لشتى التعاملات، فالدولة تفرض ضرائبها على غلة الأراضي الزراعية وتستلمها بالنقد ومن ثم تعيد توزيعها على شكل عطاء ورواتب، وكذا الضرائب الأخرى كالعشور وضرائب التجارة والجزية وغيرها.

وتأتي استخدامات المال على المستوى الشعبي غير الرسمي في كل المجالات، ويظهر ذلك جليا في ما أوردته كتب التاريخ والأدب الإسلامي ، فهي تعرض لنا أهمية حفظ المال وصونه من الزوال من خلال تثميره وانماءه مع مراعاة حقوق الشرع التي تزهد به وتعده وسيلة للتردد بين الايدي لتمشية المصالح دون الاكتناز ومن جهة أخرى تعده منبهة للكرماء وان إصلاحه مروؤة وحلم وسؤودد ، والجود به لأنه يعد من مفاخرها ولأن العرب تعطي لكرم احسابها واستحياء بعضها من بعض والتقرب والمواساة لله ، فهم أي العرب ألهج امة بحفظ المآثر واحرصها على إحصاء المفاخر، ويسخر تاريخنا بالشواهد الدالة على ذلك ويحفظ لنا أيضا أسماء من اقترن ذكرهم بالجود والكرم.

كما وجدنا ان التوظيف السياسي والاستخدام السلبي للأموال قد اضر بمقومات بقاء الدولة واسهم في عوامل انحلالها اذ ظهرت حالات فساد على مدار سني حكم الدولة وخاصة في آخريات عهودها، الا انها لم تفت في عضد الإسلام وبقي محفوظاً معافى في الاذهان والقلوب.

ثبت المصـــادر والمراجـــع

أ- المصادر القديمة

- القرآن الكريم

- ابن ابي الدنيا ، أبو بكر(ت ٢٨١ هـ) ، اصلاح المال ، تحقيق مصطفى مفلح القضاة ، (المنصورة ، دار الوفاء ، ١٩٩٠م)

- ابن الاثير، مجد الدين ابي السعادات الجزري(ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناحي ، طاهر الزاوي (القاهرة ، دار احياء الكتب العلمية ، ١٩٦٣م)

*البلاذري، احمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ):

- انساب الاشراف،(بغداد، مكتبة المثنى، د. ت)

- فتوح البلدان ، (القاهرة ، مطبعة الموسوعات ١٩٩١)

- البيروني ، ريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠ هـ) ، الجماهر في الجواهر، تحقيق يوسف الهادي، (طهران شركة انتشارات علمي ، ١٩٩٥م)

- التوحيدي، علي بن محمد بن العباس(ت٤١٤هـ):

- البصائر والذخائر، (بيروت، دار صادر ، ١٩٩٨)

الامتاع والمؤانسة ، صححه عبدالمنعم مزيد ، (بيروت ، دار الأرقم ، د.ت)

*التنوخي ، ابي علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ):

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة.، تحقيق عبود الشالجي ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٥)

المستجاد من فعلات الاجواد ، تحقيق محمد كرد علي ، نسخة مصورة

الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي (بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٥)

ـ الثعالبي، ابي منصور عبدالملك (ت٤٢٩ هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، المكتبة العصرية،٢٠٠٣)

*الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ):

ـ كتاب البخلاء ،(بيروتدار احياء التراث العربي ، ٢٠٠٩م)

ـ البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون،(القاهرة ،مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٨)

ـ رسائل الجاحظ ، شرحه محمد باسل (بيروت ، دار الكتب العلمية، د.ت)

ـــ كتـــاب البرصـــان والعرجـــان والعميـــان والحـــولان، تحقيـــق عبدالســـلام محمـــد هـــارون (بغداد ، مطبعة الرشيد، ١٩٨٢م)

ـــ ابـــن الجـــوزي ، ابـــي الفـــرج عبـــدالرحمن بـــن علـــي (ت٥٩٧هـــ) ، المنـــتظم فـــي التـــاريخ، (حيدر آباد الدكن ،١٣٥٧هـ)

ـ الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ) ، كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبدالحفيظ شلبي(القاهرة، مطبعة البابي الحلبي ، ١٩٣٨م)

ـ الدمشقي، ابي الفضل جعفر بن علي (ت ق٦للهجرة) الإشارة الى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تحقيق محمود الارناؤوط ، (بيروت، دار صادر،٢٠٠٩)

ـأبن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى، اعد فهارسها رياض عبدالله(بيروت، دار احياء التراث العربي،١٩٩٦م)

ـ الشابشتي ،ابي الحسن علي بن محمد(ت٣٨٨هـ) ، الديارات ، (بيروت ، دار الرائد ، ١٩٨٦م)

ـ الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن(ت٤٤٨هـ)، الوزراء او تحفة الامراء في تأريخ الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٨م)

ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، اعتناءه لموت هيتر (ايران ، بلا ، ١٩٦٤م)

ـ الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ) تاريخ الأمم والملوك،(بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٨)

ـ ابو عبيد، القاسم بن سلام ، (ت٢٢٤هـ) ، الأموال ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م)

ـ ابن عبد ربة ، أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ) ، العقد الفريد، تحقيق احمد الزين وإبراهيم الابياري(القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٠م)

ـ ابن عبدالحكم ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت٢٥٧هـ) ، فتوح مصر واخبارها، تحقيق CHARLES G-TOORY(ليدن ، مطبعة بريد ،د.ت)

ـ العسكري، ابي هلال الحسن بن عبدالله(ت٦٦٨هـ)،الأوائل،(بيروت ،دار الكتب العلمية،١٩٨٧)

ـ ابن قتيبة ،عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، المعارف ، تحقيق محمد الصاوي ، (القاهرة ، المعارف ، ١٩٧٠)

ـ القيرواني ، ابي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الالباب، (بيروت ، دار الجيل ، د.ت)

ـ ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ الدمشقي(ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، (أشرفت على طبعه مكتبة المعارف في بيروت ومكتبة النصر في الرياض ،١٩٦٦)

ـ الماوردي، علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ)،الاحكام السلطانية والولاياتالدينية ، تحقيق خالد الجميلي (بغداد ، دار الحرية ، ١٩٨٩م)

ـ المرزوقي ، احمد بن محمد الحسن (ت ٤٢١ هـ) ، كتاب الأزمنة والامكنة ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦م)

ـ مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري، اخبار الدولة العباسية اخبار(العباس وولده) تحقيق د. عبدالعزيز الدوري ود. عبدالجبار المطلبي(بيروت، دار الطليعة ١٩٩٧م)

ب ـ المراجع الحديثة

إسماعيل، د. محمود، قضايا في التاريخ الإسلامي (منهج التطبيق)، (بيروت، دار العودة ، د.ت)

ـ ديورانت، ول، قصة الحضارة (عصر الايمان)، ترجمة محمد بدران، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٩م)

ـ دنيا ، شوقي ، من اعلام الاقتصاد الإسلامي الامام ابو حامد الغزالي ، نشر في معهد البحوث والدراسات العربية(ندوة الاقتصاد الإسلامي في عمان ،بغداد١٩٨٣)

ـ السامر، فيصل، نهضة التجارة العربية في العصور الوسطى الإسلامية مجلة المؤرخ العربي عدد ١٧ ، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب / بغداد

ـــ سميث، آدم، ثروة الأمم، ترجمة حسني زينة(بغداد، مطبعة معهد الدراسات الاستراتيجية ، ١٩٨٥م)

ـــ فانفلوتن، السيادة العربية، تحقيق وترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم (القاهرة ، مطبعة النهضة العربية ، ١٩٣٤م)

ـ الكبيسي، حمدان، الاعظمي، عواد، دراسات في التاريخ الاقتصادي العربي الاسلامي، (بغداد، مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨م)

ـــ ماجد ، عبدالمنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ،(القاهرة ،مكتبة الانجلو،١٩٧٣)